

خطبـة الجمعة - الخطبة 0184 : خـ 1 - الصديق 2 ، خـ 2 - الجـال .

لـفضـيـلةـةـ الـدـكـتـورـ مـحـمـدـ رـاتـبـ النـابـلـسـيـ بـتـارـيخـ: 1987-10-16

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الـخـطـبـةـ الـأـوـلـىـ :

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هداـنا لـهـذاـ وـماـ كـنـاـ لـنـهـتـدـيـ لـوـلاـ أـنـ هـدـاـنـاـ اللـهـ، وـماـ تـوـفـيـقـيـ وـلاـ
اعـتصـامـيـ وـلاـ توـكـلـيـ إـلـاـ عـلـىـ اللـهـ، وـأـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ إـقـرـارـاـ بـرـبـوبـيـتـهـ
وـإـرـغـامـاـ لـمـنـ جـدـ بـهـ وـكـفـرـ، وـأـشـهـدـ أـنـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـاـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ رـسـوـلـ اللـهـ سـيـدـ الـخـلـقـ وـ
الـبـشـرـ، مـاـ اـتـصـلـتـ عـيـنـ بـنـظـرـ أـوـ سـمـعـتـ أـذـنـ بـخـبـرـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـ
عـلـىـ آـلـهـ وـأـصـحـابـهـ وـعـلـىـ ذـرـيـتـهـ وـمـنـ وـالـاـهـ وـمـنـ تـبـعـهـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ، اللـهـمـ اـرـحـمـنـاـ فـإـنـكـ بـنـاـ رـاحـمـ،
وـلـاـ تـعـذـبـنـاـ فـإـنـكـ عـلـيـنـاـ قـادـرـ، وـالـطـفـ بـنـاـ فـيـمـاـ جـرـتـ بـهـ المـقـادـيرـ، إـنـكـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ، اللـهـمـ عـلـمـنـاـ
مـاـ يـنـفـعـنـاـ، وـانـفـعـنـاـ بـمـاـ عـلـمـنـاـ، وـزـدـنـاـ عـلـمـاـ، وـأـرـنـاـ حـقـ حـقـاـ وـارـزـقـنـاـ اـتـبـاعـهـ، وـأـرـنـاـ الـبـاطـلـ باـطـلـاـ
وـارـزـقـنـاـ اـجـتـنـابـهـ، وـاجـعـلـنـاـ مـمـنـ يـسـتـمـعـونـ القـوـلـ فـيـتـبـعـونـ أـحـسـنـهـ، وـأـدـخـلـنـاـ بـرـحـمـتـكـ فـيـ عـبـادـكـ
الـصـالـحـينـ.

أثرـ الصـدـيقـ فـيـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ :

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ الـمـؤ~مـنـوـنـ، كـانـ مـو~ضـوـعـ الـخـطـبـةـ الـأـسـبـوـعـ الـمـاضـيـ عـنـ الصـدـاقـةـ وـالـصـدـيقـ، وـكـيـفـ أـنـ
لـصـدـيقـ أـثـرـاـ كـبـيـرـاـ جـدـاـ فـيـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ، فـيـ مـعـقـدـهـ، فـيـ قـيـمـهـ، فـيـ سـلـوكـهـ، فـيـ سـعـادـتـهـ، فـيـ شـقـاءـهـ،
فـيـ دـنـيـاهـ، فـيـ أـخـرـاهـ، حـتـىـ أـنـ بـعـضـهـمـ كـانـ يـقـولـ: قـلـ لـيـ مـنـ تـصـاحـبـ أـقـلـ لـكـ مـنـ أـنـتـ " لـأـنـ لـلـصـدـيقـ
أـثـرـاـ كـبـيـرـاـ وـبـالـغاـ فـيـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ، وـرـدـ فـيـ حـقـ الـصـدـيقـ آـيـاتـ كـثـيـرـةـ وـأـحـادـيـثـ عـدـيـدـةـ، تـبـيـنـ الـجـانـبـ
الـإـيجـابـيـ وـالـجـانـبـ السـلـبـيـ، فـالـنـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ يـقـولـ:
((لـرـجـلـ عـلـىـ دـيـنـ خـلـيـلـهـ فـلـيـنـظـرـ أـحـدـكـمـ مـنـ يـخـالـلـ))

[الترمذـيـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـثـةـ]

الـرـجـلـ عـلـىـ دـيـنـ خـلـيـلـهـ :

مـنـ خـلـيـلـكـ، مـنـ صـاحـبـكـ؟ مـعـ مـنـ تـقـضـيـ أـوقـاتـكـ، مـعـ مـنـ تـذـهـبـ إـلـىـ نـزـهـاتـكـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـمـضـهـ
وـدـكـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـبـثـهـ هـمـكـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـسـتـرـشـدـهـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـسـتـنـصـحـهـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ
تـلـازـمـهـ، مـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـرـتـاحـ إـلـيـهـ، قـلـ مـنـ هـوـ أـقـلـ لـكـ مـنـ أـنـتـ، النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ يـقـولـ:
((الـرـجـلـ عـلـىـ دـيـنـ خـلـيـلـهـ فـلـيـنـظـرـ أـحـدـكـمـ مـنـ يـخـالـلـ))

[الترمذـيـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـثـةـ]

شيء خطير، إنك على دينه، على معتقده، على تصوراته، أو على أوهامه، أو على ضلاله، أو على خطئه، أو على خطله:

((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

يجب أن تحسن اختيار الأصدقاء، يجب أن تعرف مع من تذهب إلى هذه النزهة، ربما أفسد عقيدتك، ربما حملك على معصية كانت سبب الشقاء والهلاك، ربما أغراك بالمنكر، ربما كان الحديث عن الدنيا، فينست عن رحمة الله، ربما كان الحديث عن مباحث الدنيا فشعرت أنك محروم، قل لي من تصاحب أقل لك من أنت:

((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

أكثر الذين يقبلون على الدين ثم ينحرسون لو تتبعت أحوالهم لعرفت أن أصدقاء السوء الذين زهدوا في الدين ورغبوهم في الدنيا، زهدوا في مجالس العلم ورغبوهم في مجالس السمر، زهدوا في الدخل الحلال ورغبوهم في الدخل الحرام، زهدوا في طاعة الله ورغبوهم بمعصيته، هؤلاء الذين ينتكسون، هؤلاء الذين يقعون في طريق الإيمان، هؤلاء الذين يرتدون، هؤلاء الذين يسقطون، إنما كان سقوطهم بسبب صاحب السوء، صديق السوء، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

ندم الظالم على صحبة رفيق السوء :

استمعوا أيها الأخوة المؤمنون، هذا الظالم حينما يأتيه ملك الموت، على ما يندم، ما الشيء الذي يندم عليه في الدنيا، الشيء الذي يندم عليه في الدنيا هو أثمن ما في الدنيا، هذا الظالم حينما يأتي الواحد الديان، وأعني بالظالم الذي ظلم نفسه، فأباقاها في جهالة الجهل، وفي ضلاله المعصية، وفي حول الشهوات، هذا الذي ظلم نفسه حينما يأتي يوم القيمة على ما يندم، يندم على أثمن ما في الدنيا، قال تعالى:

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيَلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)

[سورة الفرقان: 27-28]

يندم على أنه صاحب رفيق السوء ولم يصاحب أهل الحق، لم يكن منضويا تحت أهل الحق، لم يصاحب المؤمنين، بل صاحب المنافقين، لم يصاحب أهل الدين، بل صاحب أهل الدنيا، لم يصاحب من يرقى به إلى الله حاليه، بل صاحب من دنسه في حول الشهوات، قال تعالى:

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخْذَتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَئِ لَيْتَنِي لَمْ أَخْذْ فَلَانَا خَلِيلًا)

[سورة الفرقان: 27]

السبيل إلى الله يحتاج إلى رسول :

السبيل إلى الله يحتاج إلى رسول، و الرسول بُدء به، لأن الرفيق قبل الطريق، قال تعالى:

(يَا لَيْتَنِي أَخْذَتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَئِ لَيْتَنِي لَمْ أَخْذْ فَلَانَا خَلِيلًا)

[سورة الفرقان: 27]

ما الذي جعله من الظالمين؟ ما الذي جعله من الهاكين؟ ما الذي جعله من أصحاب الجحيم، أنه اتخذ فلانا خليلا، فموضوع الصداقة و الصديق شيء خطير إلى أبعد الحدود، ربما كان تأثير الصديق أبلغ تأثير في حياة الإنسان، قال تعالى:

(لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)

[سورة الفرقان: 29]

الشيطان هو الصديق الضال :

بشكل أو آخر ورد ذكر الشيطان على أنه هو الصديق، هو الصديق الضال، إنه الشيطان، الشيطان نوعان، شيطان الجن و شيطان الإنس، و هذا الصديق الذي يغري بالمعصية و يحب بالدنيا و يزهد بالأخرة إنه شيطانا، فاحذر منه، و الشيء الذي يلفت لنظر كما أن الأمراض تنتقل بالعدوى كذلك الحسنات و السيئات تنتقل بالعدوى، و لكن الشيء الخطير أن عدوى السيئات أسرع من عدوى الحسنات، لماذا؟ لأن السيئات غالبا ما تتعلق بالشهوات، و الشهوات بضاعة حاضرة، ولذلة حاضرة، بينما الحسنات تتعلق بالأخرة، و الأخرة قد يرونها بعيدة.

عدوى انتقال السيئات :

لذلك عدوى انتقال السيئات أخطر و أسرع من عدوى انتقال الحسنات، يقول عليه الصلاة و السلام:

((مَثُلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَادِ لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْرِيَهُ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكَبِيرُ الْحَدَادِ يُحْرِقُ بَذَنَكَ أَوْ تُؤْبِكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً))

[البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه]

أيها الأخوة المؤمنون، الصداقة أية صداقة خطيرة، إن لم تكن في طاعة الله، لكن من الصداقات ما هو عابر، صديق سيارة، تسافر إلى مدينة، تلتقي برجل يجلس إلى جانبك، هذا صديق عابر، صديق

طائرة صديق مهمة، و لكن أخطر أنواع الأصدقاء من كان صديق العمر، الذي يلازمك في الليل و النهار، في السراء و الضراء، في إقبال الدنيا و إدبارها، هذا الذي يلازم هو أخطر أنواع الأصدقاء، قد يقنعك بالباطل، و قد يقنعك بالحق، قد بالحرام، قد يزين لك عمل الشيطان، قد يزين لك كل ما حرم في الشرع، فلذلك إن كنت يجب أن تحذر الصديق العابر مرة فيجب أن تحذر صديق العمر ألف مرة.

صاحب من يرقى بك علمه :

أيها الأخوة المؤمنون، يجب أن تعتمد الصداقة على قوة العقيدة، و سمو الأعمال، لا تصاحب أناسا عاديين، صاحب من يرقى بك علمه، صاحب من تسمو به أخلاقك، شينان أساسيان، العقيدة و العمل، لا تصاحب إلا من يرقي بعقيدتك، أو أن يسمو بعملك، هذا الصاحب احرص عليه و ابحث عنه و ابذل له، من عامل الناس فلم يظلمهم، و حدثهم فلم يكذبهم، و وعدهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروعته، و ظهرت عدالته، و وجبت أخوته، و حرمت غيبته " صاحب مثل هؤلاء " من عامل الناس فلم يظلمهم، و حدثهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروعته، و ظهرت عدالته، و وجبت أخوته، و حرمت غيبته.

الأخوة في الله تدوم بطاعة الله :

أيها الأخوة المؤمنون، العلاقة بين أخوين في الله، أو أن الأخوة في الله لا تدوم و لا ترقى، و لا تمن إلا بطاعة الله، قاعدة هذه، لو أن علاقة نشأت بين مؤمنين، هذه العلاقة أساسها محبة الله عز وجل، هذه العلاقة لا تستمر و لا تزيد و لا تشتد أواصرها إلا بطاعة الله، فإذا عصي الله من كليهما أو من أحدهما انفصمت هذه العلاقة، و تلاشت، يقول عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ أَبْنَىْ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْلُلُهُ وَيَقُولُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانُ فَفَرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا وَكَانَ يَقُولُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتُّ يُشَمَّتُهُ إِذَا عَطَسَ وَيَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ وَيَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ وَيَشْهَدُهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقَيْهُ وَيُجِيئُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَبْعَثُهُ إِذَا مَاتَ وَتَهَىَ عَنْ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ))

[أحمد عن ابن عمر]

سمعت أن مجموعة من الأصدقاء كانوا يجتمعون في كل أسبوع مرة، و قد استمرت سهراتهم سبعة عشر عاما، من دون انقطاع، سأله بعضهم هذا السؤال: ما هو سر استمرار هذا اللقاء الأسبوعي؟ فتوصلوا إلى أن هناك شيئاً، ليس في هذا المجلس غيبة، وليس فيه نساء لو دخلت

المرأة لأفسدت ما بين الرجال، و لو دخلت الغيبة لأوقعت بينهم العداوة و البغضاء، لذلك لا تدوم المودة إلا بطاعة الله عز وجل.

((عَنْ أَبْنَ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُخْلِهُ وَيَقُولُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ أَثْنَانَ فَفَرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَى بَذْنَبِ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا وَكَانَ يَقُولُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتُّ يُشَمَّثُهُ إِذَا عَطْسَ وَيَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ وَيَصْحَحُهُ إِذَا غَابَ وَيَشْهَدُهُ وَيُسْلِمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ وَيَجِيئُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَتَبَعُهُ إِذَا مَاتَ وَتَهَى عَنْ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ))

[أحمد عن ابن عمر]

الأخوة في الله تدوم بالتواصي بالحق :

شيء آخر، من أراد لصداقة الإيمان أن تستمر، من أراد لأخوة الدين أن ترقى، فعليه أن يسيّجها بالتواصي بالحق، سيدنا عمر كان يقول: أحب ما أهدى إلى أصحابي عيوبني. و فرق كبير بين النصح و بين التشهير إنك إذا توجهت إلى أخيك تثير عنده بعض نقاط الضعف بأدب و احترام و إخلاص و شفقة و اعتدال من دون أن يدرى أحد بهذا إنك تتصحّه، فإذا وجهت له النقد أمّا من أصدقاء أو أصحابه فإنه تشهر به، و في أغلب الأحيان يقبل منه الصديق النصح و لا يقبل التشهير، لذلك يقول الله عز وجل:

(وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ)

[سورة العصر: 1-3]

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا التقى برجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: تعال يا أخي نؤمن ساعة بربنا وقد علم النبي هذا السلوك، فقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةً إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ فَغَضِبَ الرَّجُلُ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرَى إِلَى أَبْنَ رَوَاحَةَ يُرَعِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تُبَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

أي إذا جلست مع أخيك في الله فليكن الحديث عن الله، عن آياته القرآنية عن آياته الكونية، عن صلاح الدنيا، عن صلاح الآخرة، عن الأمر بالمعروف، عن النهي عن المنكر، عن عمل صالح يرقى بكم؟.

الأخوة في الله تدوم بأخباره أنك تحبه :

أيها الأخوة المؤمنون، مما يمتن هذه العلاقة الخالصة أن تعلم أخاك أنك تحبه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِيْ كَرْبَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَحَبَّ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ فَلْيَعْلَمْ إِيَاهُ))

[الترمذني عن المقدام بن معدي كرب]

لا تلزم الصمت، كان رجل عند النبي عليه الصلاة والسلام، فمر رجل فقال الأول:
((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَحِبُّ هَذَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُتُهُ قَالَ لَا قَالَ أَعْلَمُهُ فَقَالَ فَلِحِقْهُ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّكَ فِي اللَّهِ فَقَالَ أَحِبُّكَ الَّذِي أَحِبَّتْنِي لَهُ))

[أبو داود عن أنس بن مالك]

أفصح عن هذه المشاعر، أفصح عنها، أعلم أخاك أنك تحبه، فإنه مما يزيد هذه العلاقة متانة.

من لوازم الأخوة أن تسأل أخاك عن اسمه :

أيها الأخوة المؤمنون، من لوازم الصداقة أن تسأل أخاك عن اسمه، و عن اسم أبيه و عن عمله، ومن هو، من أجل أن تعرفه معرفة صحيحة، فعلمه في مصلحة أنت في أشد الحاجة إليها، يجب أنت تتفعله، يجب أن تعلم حاجتك عنده، لذلك من لوازم الأخوة في الله أن تسأله عن اسمه و اسم أبيه و عن عمله وممن هو، فإن هذا يمتن العلاقة بين الإخوة، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ يَزِيدَ بْنِ نَعَمَةَ الضَّبَّيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلُهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَةِ))

[الترمذني عن يزيد بن نعمة الضبي]

وهناك قول: رب أخ لك لم تلده أملك " و الأرواح كما ورد في صحيح البخاري:
((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّنَافَ وَمَا تَشَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

اختيار الأصدقاء وفق العقيدة الصحيحة :

أيها الأخوة المؤمنون، يجب أن يتم اختيار الأصدقاء وفق العقيدة الصحيحة، فمن زاغت عقيدته أو انكر شيئاً من الدين، أو زاغت به الأهواء، لا ينبغي أن تصاحبه، لأن في مصاحبته خطراً على عقيدتك.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلِكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أَرِيدُ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْفَرِيْدَةِ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

تزور أخا ليس لك عنده مصلحة، و لا نعمة و لا لتشكره و لا لترضيه لا قرابة و المصلحة و لا منفعة، ولا مطعم، تزوره لا لشيء إلا أنك تحبه في الله، يقول عندئذ الله سبحانه و تعالى في الحديث القدسي:

((عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَحَابُونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَتَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَعْبَطُهُمُ التَّبَيْنُ وَالشَّهَدَاءُ))

[الترمذى عن معاذ بن جبل]

ويقول عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ ثَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزَلًا))

[الترمذى عن أبي هريرة]

الأخوة في الله تدوم بتبادل الهدايا :

أيها شيء آخر يزيد المودة، إنها الهدايا، لك أخ تزوج قدم له هدية، لك أخ مرض عده و قدم له هدية، ولا تهتم بقيمتها، لو أن لها قيمة قليلة إن معناها كبير، لو قدمت له قلما، لو قدمت له شيئاً إنه يزيد في المحبة، هكذا قال عليه الصلاة و السلام، لكن الهداية لها دور خطير إذا نشأت جفوة بين الأخرين، إذا نشا سوء تفاهم، إذا نشأت سحابة حين الجفاء من البرود، إذا كان ما بين الصديقين فعلاجه أن يقدم له الهداية، قد أمرنا النبي عليه الصلاة و السلام فقال:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذَهِّبُ وَحْرَ الصَّدْرِ وَلَا تَحْرِنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَا شَقَّ فِرْسِنَ شَاءَ))

[الترمذى عن أبي هريرة]

لكن النبي عليه الصلاة و السلام من أخلاقه أنه كان يقبل الهداية و يثيب عليها، كان بعد الهداية دينا يثيب عليها، أقبلها و أداء ما يقابلها في مناسبة أخرى، إن هذه الهدايا المتبادلة، لم يقلوا " قال: تهادوا " إذا قدمت لك هدية فرد عليها بهدية، قدمت لك خدمة رد عليها بخدمة، لا يُقبل منك أن تقول للأخرين و قد قدم لك خدمة: جزاكم الله خيرا، قال عليه الصلاة و السلام:

((عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاد بالله فأعيده ومن سأله بالله فاعطوه ومن دعاكُمْ فاجبُوه ومن صنع إليكُمْ معروفاً فكافِنُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكَافِنُوهُ فادعُوا لَهُ حَتَّى ترَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَنْتُمُوهُ))

[أبو داود عن عبد الله بن عمر]

النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فإن الهدية تذهب بحر الصدر ولما تحققَنَ جَارَةٌ لِجَارِتِهَا وَلَوْ شِقَ فِرْسِينَ شَاءَ))

[الترمذى عن أبي هريرة]

فعل تهادوا من أفعال المشاركة، يعني ليهدي كل منكم أخيه تلق الهدية و كافى بمثلها، إلا أن تكون لمن ترجو الخير منه في الدنيا فهذه رشوة، بحث آخر، قدم الهدية لا ترج منه شيئا في الدنيا إلا تزيده محبة في الله فقط، إن كان لها هدف آخر فلها حكم آخر، فدُم لأحد الخلفاء هدية فقال: هي لرسول الله هدية و لنا رشوة، فالهدية تذهب بحر الصدر، و كان عليه الصلاة و السلام يقبل الهدية و يثيب عليها، و قد قال عليه الصلاة و السلام:

((خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيَرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي]

الأخوة في الله تدوم بمداراة أخيك :

أنت مع أخيك المؤمن بين المداهنة وبين المداراة، و المداهنة بذل الدين من أجل الدنيا، أما المداراة فبذل الدنيا من أجل الدين، داره و لا تداهنه.

ملخص هذه الخطبة، يقول عليه الصلاة و السلام:

((عن أبي سعيد الله سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لآئِصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقْيِي))

[الترمذى عن أبي سعيد]

إن الصديق الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
و من إذا ريب الزمان صدعاك شتت فيك شمله ليجمعك

شابان وقد كنت قد أسمعتمكم هذه القصة قبل عام فيما ذكر، شبابان في عهد عمر رضي الله عنه دخلا عليه وهو يسوقان رجلا قتل أباهما، فعقد مجلسا لمحاكمته و بعد سماع أقوال الشهود و إقرار القاتل، الاعتراف سيد الأدلة، و إقرار القاتل حكم عليه بأن يقتل، قال تعالى:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)

[سورة البقرة: 179]

زوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم، لكن المحكوم عليه بالقتل طلب مهلة ثلاثة أيام، كي يذهب إلى أهله ليعطيهما مالا، كان قد خبأه، وليرد ع أولاده، ويوصي، فقال له عمر: ومن يضمنك؟ ألا تعود، فلم يتكلم أحد من في المجلس، لأن أحدا لا يعرفه، فما كان من أبي ذر رضي الله عنه إلا أن قال: أنا أضمنه يا أمير المؤمنين، ضمنه، وذهب هذا المحكوم عليه بالقتل إلى أهله، ليودعه، ليعطيهما الذي خبأ لهم، وليوصي، ومضت الأيام الثلاثة وحضر الشابان ليشهدوا مقتل قاتل أبيهما، لكن الرجل لم يحضر، إلى أن كادت الشمس تغيب، و كان ينفذ حكم القتل في الكفيل، ثم حضر الرجل، و قبل تنفيذ الحكم فيه سأله عمر: لم وفيت بوعده و أنت تعلم أنه القتل؟ أي وفاوك بالع يعني أنه الموت، فقال هذا الرجل: إنما جئت حتى لا يقال: إن الوفاء قد مات، عندها توجه إلى أبي ذر رضي الله عنه، قال: وأنت يا أبي ذر لم ضمنته و أنت لا تعرفه؟ قال: ضمنته لئلا يقال: إن المروءة قد ماتت، عندها قال الشابان: ونحن عفونا عنه، فقال عمر: لم عفوت عنه؟ قالا: لئلا يقال: إن السماحة قد ماتت " الوفاء والمروءة والسماحة لو أخذ الناس بهذه الثلاثة ما كان بينهم جائع، ولا عريان ولا مغبون ولا مهضوم، ولا فقرت الجفون من المدامع، ولمحت الرحمة الشقاء من القلوب، أما إذا ماتت المروءة وانعدم الوفاء وشحت النفوس فاقرأ على....

أيها الأخوة المؤمنون، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتحذ حذرنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من اتبع نفسه هوها و تمنى على الله الأماني والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولئلا الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد رسوله صاحب الخالق العظيم، اللهم صل و سلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التفكير في الجبال كيف نصب :

أيها الأخوة المؤمنون، ربنا سبحانه و تعالى في القرآن الكريم يقول:

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامخَاتٍ وَأَسْقِيَنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)

[سورة المرسلات: 27]

نحن مدعوون بنص الآية الكريمة إلى أن ننظر إلى الجبال كيف نصب، مجموعة من آيات الله في القرآن الكريم تشير إلى تفصيل هذه الآية، يقول الله تعالى:

(أَلْمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجَبَالَ أَوْتَادًا)

[سورة النبأ: 6-7]

الجبال أوتاد في الأرض :

الجبال وتد، ثلثا الجبل مغروس في الأرض، عبر طبقاتها المتعددة، وفي أثناء الدوران لا تترافق الطبقات المتباعدة عن بعضها بسبب أن وتدا وهو الجبل يربطها جميعا، قال تعالى:

(أَلْمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجَبَالَ أَوْتَادًا)

[سورة النبأ: 6-7]

الجبال ثلاثة تحت الأرض :

معنى آخر، يقول الله سبحانه و تعالى مشيرا إلى أن هذا الجبل الذي تراه عينك إنما الذي تراه منه الثالث الظاهر، و له ثلثان تحت الأرض، كل جبل ثلثه فوق الأرض و ثلاثة تحت الأرض، فجبال همالايا التي يزيد ارتفاعها عن اثنى عشر ألف متر هذا هو الثالث الظاهر، بينما ضعف هذه المسافة مغروسة تحت الأرض كالوتد، من هنا قال الله عز وجل:

(وَالْجَبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

[سورة النازعات: 32-33]

الجبال جعلها الله أكتانا :

المعنى الثالث، قال تعالى:

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجَبَالِ أَكْنَانًا)

[سورة النحل: 81]

أي السلسل الجبلية التي على السواحل تجعل المنطقة التي خلفها منطقة جافة، و ليست رطبة، ليست منطقة رياح عاتية، لو ذهبت إلى حلب عن طريق حمص لرأيت أن الأشجار كلها مائة في فتحت بين سلسلتي الجبال المنصوبة على السواحل، فالجبل في هذه الآية جعله الله أكتانا، قال تعالى:

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجَبَالِ أَكْنَانًا)

[سورة النحل: 81]

تبعد الطقس و المناخ متعلق بالجبال، بفتحاتها، و كيف أنها مصدات للرياح.

الجبال مستودعات لأنهار :

المعنى الرابع، قال تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا)

[سورة الرعد:3]

العلاقة بين الأنهار و الجبال هي أن الجبال مستودعات لأنهار، قال تعالى:

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا)

[سورة الرعد:3]

توزيع الجبال على سطح الأرض يجعلها مستقرة :

المعنى الخامس، قال تعالى:

(وَالْأَفْلَقُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ)

[سورة النحل:15]

هذه الكراة مع دورانها السريع لابد أن تضطرب، أما إذا وزعت الجبال توزيعا دقيقا على سطحها بحيث يؤدي هذا التوزيع إلى استقرارها مع دورانها، فهذا مما تعنيه هذه الآية، قال تعالى:

(وَالْأَفْلَقُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ)

[سورة النحل:15]

لئلا تضطرب الأرض في أثناء الدوران.

الجبال تجعل الأرض مستقرة :

المعنى السابع، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا)

[سورة النمل:61]

من جعلها مستقرة، من جعلها ساكنة سكونا تماما؟ مع أنها متحركة، تقطع الأرض في الثانية الواحدة ثلاثة كيلومترا، تدور حول نفسها بسرعة ألف و ستمائة كيلو متر في الساعة، حول نفسها، و حول الشمس بسرعة ثلاثة كيلومتر في الثانية، ومع ذلك تبني البناء فلا يتتحقق، لو أنها اضطربت بميزان الزلازل بأقل وحدة لتهدمت الأبنية، قال تعالى:

(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ)

[سورة النمل:61]

الجبال تضاعف مساحة الأرض :

شيء آخر ، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقِيْنَاكُمْ مَاءً فُرَّاتًا)

[سورة المرسلات:27]

العلماء قالوا: الجبال تضاعف مساحة الأرض أربعة أضعاف، لو أخذت المساحة التي يشغلها الجبل كانت أقل من مجموع سطوحه بخمسة أجزاء، فهذه الجبال تضاعف المساحات وتلطف الأجواء ولها وظائف لا يعلمها إلا الله، لذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول:

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقِيْنَاكُمْ مَاءً فُرَّاتًا)

[سورة المرسلات:27]

الدعا :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، ودولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأثثنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، واقسم لنا من خشيتك مت تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحبيتنا، واجعله الوراث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، مولانا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنه على ما تشاء قادر وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين